

تفسير البحر المحيط

@ 300 @ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم إشارة إلى الملائكة الأعلى . ثم قال : { وَحَسْبُنَا }
أُولَئِكَ رَفِيقًا { ويبين ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم) حين الموت { اللّٰهُمَّ
* إِرْسَاقَ أَنْتَ الْإِعْلَاقِ { وهذا ظاهر انتهى . وهذا الوجه الذي هو عنده ظاهر فاسد من
جهة المعنى ، ومن جهة النحو . أما من جهة المعنى فإنّ الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه
وسلم) ، أخيراً الله تعالى أن من يطيعه ويطيع رسوله فهو مع من ذكر ، ولو كان من النبيين
معلقاً بقوله : ومن يطع الله والرسول ، لكان قوله : من النبيين تفسيراً لمن في قوله :
ومن يطع . فيلزم أن يكون في زمان الرسول أو بعده أنبياء يطيعونه ، وهذا غير ممكن ، لأنه
قد أخبر تعالى أنّ محمداً هو خاتم النبيين . وقال هو صلى الله عليه وسلم) : (لا نبي
بعدي) . وأما من جهة النحو فما قبل فاء الجزاء لا يعمل فيما بعدها ، لو قلت : إن تقم
هند فعمرو ذاهب ضاحكة ، لم يجز .

واختلفوا في الأوصاف الثلاثة التي بعد النبيين . فقال بعضهم : كلها أوصاف لموصوف واحد ،
وهي صفات متداخلة ، فإنه لا يمتنع في الشخص الواحد أن يكون صديقاً وشهيداً وصالحاً .
وقيل : المراد بكل وصف صنف من الناس . فأما الصديق فهو فعيل للمبالغة كشريب . فقيل :
هو الكثير الصدق ، وقيل : هو الكثير الصدقة . وللمفسرين في تفسيره وجوه : الأول : أن
كل من صدق بكل الذي لا يتخالجه فيه شك فهو صديق لقوله تعالى : { وَالصّٰدِقِیْنَ ءَامَنُوْا }
بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ { . الثاني : أفاضل أصحاب الرسول .
الثالث : السابق إلى تصديق الرسول . فصار في ذلك قدوة لسائر الناس . وأما الشهيد : فهو
المقتول في سبيل الله ، المخصوص بفضل الميتة . وفرق الشرع حكمهم في ترك الغسل والصلاة ،
لأنهم أكرم من أن يشفع فيهم . وقد تقدم الكلام في كونهم سموا شهداء ، ولكن لفظ الشهداء
في الآية يعم أنواع الشهداء الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وقال أبو عبد
الله الرازي : لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر ، بل نقول :
الشهيد فعيل بمعنى فاعل ، وهو الذي يشهد لدين الله تارة بالحجة بالبيان ، وتارة بالسيف
واللسان . فالشهداء هم القائمون بالقسط ، وهم الذين ذكرهم الله في قوله : { شَهِدَ
اللّٰهُ ؕ أَنْزَلَهُ ؕ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ } . والصالح : هو الذي يكون صالحاً في اعتقاده
وعمله . وجاء هذا التركيب على هذا القول على حسب التنزل من الأعلى إلى الأدنى ، إلى أدنى
منه . وفي هذا الترغيب للمؤمنين في طاعة الله وطاعة رسوله ، حيث وعدوا بمرافقة أقرب عباد
الله إلى الله ، وأرفعهم درجات عنده .

وقال الراغب : قسم اﷻ المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام ، وجعل لهم أربعة منازل بعضها دون بعض ، وحث كافة الناس أن يتأخروا عن منزل واحد منهم : الأول : الأنبياء الذين تمدهم قوة الإلهية ، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب . ولذلك قال تعالى : { أَفَتَدْمَارُونَهُ عِلَآئِ مَا يَرَى } . الثاني : الصديقون وهم الذين يزاحمون الأنبياء في المعرفة ، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد وإياه عني أمير المؤمنين حين قيل له : هل رأيت اﷻ ؟ فقال : ما كنت لأعبد شيئاً لم أره ثم قال : (لم تره العيون بشواهد الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان . الثالث : الشهداء وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين . ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب ، كحال حارثة حيث قال : كأني أنظر إلى عرش ربي ، وإياه قصد النبي صلى اﷻ عليه وسلم) حيث قال : (اعبد اﷻ كأنك تراه) . الرابع : الصالحون ، وهم الذين يعرفون الشيء باتباعاات وتقليدات الراسخين في العلم ، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة . وإياه قصد النبي صلى اﷻ عليه وسلم) بقوله : (اعبد اﷻ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) انتهى كلامه . وهو شبيه بكلام المتصوفة . . .

وقال عكرمة : النبيون محمد صلى اﷻ عليه وسلم) ، والصديقون أبو بكر ، والشهداء عمر وعثمان وعلي ، والصالحون صالحو أمّة محمد صلى اﷻ عليه وسلم) انتهى .